قواعد التفسير المتعلقة بالآيات والسور

إعداد

أ.م.د. أحمد عبد الكريم

ahmed abdulkareem Abdulrahman

ahmedabdulkareem119@gmail.com

أ.د. أبو الفتوح عبد القادر

Dr. Abu Alfutooh Abdullqadir shakir

dr.abualfutooh.shakir@aliraqia.edu.iq

الملخص

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين؛ وبعد:

فإن تفسير القرآن الكريم لازم نزول القرآن من عصر النبي -صلى الله عليه وسلم -فقد أشكلت بعض الكلمات على الصحابة فبينها لهم النبي صلى الله عليه وسلم - ووضحها وكانت هذه مهمته في التبليغ... وهكذا كان بيان النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة انطلاق فسير القرآن فتوالت جهود العلماء في كل زمان ومكان ببيان القرآن الكريم إلا أن اتجاهاتهم كانت مختلفة فمنهم من اعتمد على العقل في فهم القرآن الكريم بين موسع ومضيق في الأخذ بهذه الافهام المعتمدة على العقل وبين من جعل الأثر أساسه في بيان القرآن الكريم ومنهم من أخذ الطريقتين فأبدع وهذا التنوع هو سنة من سنن الوجود وأثر من آثار العقول المختلفة التي خلق الله الناس عليها، ولا ريب أن من أحسن ما يُعين على فهم كلام الله وتدبر معانيه : الاعتناء بالقواعد والضوابط الجامعة في التفسير التي استخرجها العلماء ؛ لأنها تجمع المتفرق ، وترد الفروع إلى أصولها . فكانت خطة البحث على اربعة مباحث المبحث الاول التعريف بعناصر البحث واما المبحث الثاني تضمن علم قواعد التفسير من النشأة والاهمية واما المبحث الثالث تضمن الفرق بين قواعد التفسير والتفسير وأهم المؤلفات وأقوال العلماء، واما المبحث الرابع بينت فيه أنواع القواعد التفسيرية وأهم المصادر المتعلقة بقواعد التفسير.

Summary:

Praise be to Allah, the Lord of all worlds, and may peace and blessings be upon the one sent as a

mercy to all creation, and upon his family and companions. To proceed:

The interpretation (tafsir) of the Noble Qur'an has been necessary since the revelation of the Qur'an during the time of the Prophet (peace be upon him). Certain words were unclear to some of the Companions, so the Prophet (peace be upon him) explained and clarified them for them, and this was part of his mission of conveying the message. Thus, the Prophet's explanation formed the foundation and starting point for Qur'anic interpretation.

Over time, scholars in every era and place have continued to contribute to the clarification and interpretation of the Qur'an. However, their approaches varied. Some relied heavily on reason in understanding the Qur'an-ranging from those who were more expansive to those who were more restrictive in their rational interpretations. Others based their explanations primarily on transmitted

reports (athar), while some scholars combined both approaches and produced remarkable works.

This diversity is part of the natural order and a reflection of the differing intellects with which God

created people.

Undoubtedly, one of the most effective means to help understand the words of Allah and reflect upon their meanings is to give due attention to the comprehensive rules and principles of tafsir extracted by scholars.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن تفسير القرآن الكريم لازم نزول القرآن من عصر النبي -صلى الله عليه وسلم -فقد أشكلت بعض الكلمات على الصحابة فبينها لهم النبي -صلى الله عليه وسلم- ووضحها وكانت هذه مهمته في التبليغ كما قال الله تعالى:(وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ)(١) وهكذا كان بيان النبي صلى الله عليه وسلم قاعدة انطلاق تفسير القرآن فتوالت جهود العلماء في كل زمان ومكان ببيان القرآن الكريم إلا أن اتجاهاتهم كانت مختلفة فمنهم من اعتمد على العقل في فهم القرآن الكريم بين موسع ومضيق في الأخذ بهذه الافهام المعتمدة على العقل وبين من جعل الأثر أساسه في بيان القرآن الكريم ومنهم من أخذ الطريقتين فأبدع وهذا التنوع هو سنة من سنن الوجود وأثر من آثار العقول المختلفة التي خلق الله الناس عليها، ولا ريب أن من أحسن ما يُعين على فهم كلام الله وتدبر معانيه : الاعتناء بالقواعد والضوابط الجامعة في التفسير التي استخرجها العلماء ؛ لأنها تجمع المتفرق ، وترد الفروع إلى أصولها ... لابد أن يكون مع الإنسان أصول كلية ترد إليها الجزئيات ؛ ليتكلم بعلم وعدل ، ثم يعرف الجزئيات كيف وقعت ، وإلا فيبقى في كذب وجهل في الجزئيات ، وجهل وظلم في الكليات ، فيتولد فساد عظيم .، من أجل ذلك اعتنى العلماء. رحمهم الله. بتدوين القواعد المعينة على تفسير كلام الله وفهمه والاستنباط منه ، وذلك في كتب مفردة ، أو أثناء كلامهم على الآيات تفسيرا واستنباطا ، سواء في كتب خاصة بالتفسير ، أو غيرها .

وقد تفاوت العلماء في ذلك تفاوتا كبيرا ، بحسب ما آتاهم الله من الفهم في كتابه والغوص إلى أسراره ...وقد كنت أود الكتابة عن قواعد التفسير فكان عنوان بحثنا: (واعد التفسير المتعلقة بالآيات والسور) فكانت خطة البحث على اربعة مباحث المبحث الاول التعريف بعناصر البحث واما المبحث الثاني تضمن علم قواعد التفسير من النشأة والاهمية

(١) سورة النحل: من الآية:٤٤.

واما المبحث الثالث تضمن الفرق بين قواعد التفسير والتفسير وأهم المؤلفات وأقوال العلماء، واما المبحث الرابع بينت فيه أنواع القواعد التفسيرية وأهم المصادر المتعلقة بقواعد التفسير .

المبحث الاول
التعريف بعناصر البحث

نبين في هذا المبحث مفاهيم مفردات عنوان البحث من خلال المطالب الاتية.

المطلب الاول : بيان مفهوم القواعد .

أولا: القواعد لغة : جمعٌ مُفرده قَاعِدَة، وَهُوَ نقيض القيام، قَعَدَ يَقْعُدُ قُعُوداً ومَقْعَداً، أي جَلس [١]، والقاعدة لغة : الأساس ، ومنه قواعد البناء وأساسه [٢]، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [٣]

قَالَ الزَّجَّاجُ: «القَواعِدُ أَساطينُ الْبِنَاءِ الَّتِي تَعْمِدُه. وقَواعِدُ الهَوْدَج: خَشَبَاتٌ أَربع مُعْتَرِضَةٌ فِي أَسفله تُرَكَّبُ عِيدانُ الهَوْدَج فِيهَا.» [٤]

ثانيًا : القواعد اصطلاحا:

اما مفهوم القاعدة اصطلاحا فقد تنوعت عبارات العلماء فيها وتعددت ومن هذه التعريفات:

قال الجرجاني [٥]: « قضية كلية منطبقة على جميع جزيئاتها «[٦].

و عرفها التهانوي [٧] معتمداً على تعريف الجرجاني بتعريفين أجمالي وتفصيلي، الإجمالي: « أمر كلي منطبق على جميع جزيئاته عند تعرف أحكامها منه «[٨] ،

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين أبن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت٧١١هـ)، اليازجي وجماعة من اللغوين، ط٣، ١٤١٤هـ ، مادة: قَعَدَ، (٣٥٧/٣).

(٢) لسان العرب ، لابن منظور الأنصاري ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ ، مادة قعد ، ٣٦١/٣ .

(٣) سورة البقرة : الآية ١٢٧.

(٤) لسان العرب، ٣٦١/٣.

(٥) هو علي بن محمد بن علي، من كبار العلماء بالعربية، توفي سنة (٨١٦هـ)، ينظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام، الذهبي، (٢٩٢/٨).

(٦) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (٨١٦هـ)، جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية -بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، (٢١٩).

(٧) هو محمد بن علي أبن القاضي محمد حامد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي، كاتب وعالم هندي، توفي سنة (١١٥٨هـ)، ينظر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت١٣٩٦هـ)، دار العلم للملايين ، ط١٥، ٢٠٠٢م، (٢٩٥/٦).

(٨) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي أبن القاضي محمد حامد صابر الفاروقي الحنفي التهانوي التهاوني (ت١١٥٨هـ)، د. علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون ـ بيروت، ط١، ١٩٩٦م، (٢٩٥/٢) .

والتفصيلي: « قضية كلية تصلح أن تكون كبرى والصغرى سهلة الحصول حتى يخرج الفرع من القوة إلى الفعل «[١]

قال «الفيومي» [٢]: «القاعدة في الاصطلاح بمعنى الضابط وهو الامر الكلي المنطبق على جميع جزيئاته» [٣] . تعريف القواعد التفسيرية بأعتباره لقباً :

هي الأحكام الكلية التي يتوصل بها الى إلى أستنباط معاني القرآن العظيم ومعرفة كيفية الاستفادة منها[٤] فيتبين لنا من التعريف اللغوي للأساس بأن لديه معنيين: الأول: وهو الابتداء بالشيء، والثاني: الأحداث والوضع الجديد.

المطلب الثاني : بيان مفهوم التفسير عند العلماء :

القرآن الكريم هو مصدر التشريع الأول للأمة المحمدية، وعلى فقه معناه ومعرفة أسراره والعمل بما فيه تتوقف سعادتها. ولا يستوي الناس جميعًا في فهم ألفاظه وعباراته مع وضوح بيانه وتفصيل آياته، فإن تفاوت الإدراك بينهم أمر لا مراء فيه فالعامي يدرك من المعاني ظاهرها ومن الآيات مجملها، والذكي المتعلم يستخرج منها المعنى الرائع. وبين هذا وذاك مراتب فهم شتى، فلا غرو أن يجد القرآن من أبناء أمته اهتمامًا بالغًا في الدراسة لتفسير غريب، أو تأويل تركيب.

أولا : التفسير لغة :

اختلف علماء اللغة في لفظ التفسير:

١- فقيل: هو تفعيل من «الفَسْر» بمعنى الإبانة وكشف المراد عن اللفظ المشكل.... أي الكشف وإظهار المعنى المعقول، وفعله: كضرب ونصر، يقال: فسر الشيء يفسر بالكسر ويفسره بالضم فسرًا، وفسره: أبانه، والتفسير والفسر: الإبانة وكشف المغطى [٥]. قال تعالى: {وَلا

(١) المصدر نفسه .

(٢) الفيومي : هو أحمد بن محمد الفيومي ثم الحموي ،أبو العباس ، فقيه لغوي أشتهر بكتابه (المصباح المنير) توفي سنة (٧٧٠هـ) ، ينظر : ،الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) ، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، ٢٤٤/١.

(٣) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت ١٢٥٢ هـ) ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطبعة: الثانية، ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م، ٥٤٧/٤ .

(٤) قواعد التفسير ، خالد بن عثمان السبت ، دار ابن عفان ، ٣٠/١ .

(٥) تهذيب اللغة: الأزهري ج١٢ ص٤٠٧.

يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا}[1] . أي تفصيلا.[2]

٢- وقيل: هو مقلوب من «سَفَر» ومعناه أيضا الكشف يقال: سفرت المرأة سفورا إذا ألقت خمارها عن وجهها وهي سافرة وأسفر الصبح: أضاء وإنما بنوا «فسر» على التفعيل فقالوا: «تفسير» للتكثير[3].

وقال الراغب الأصفهاني: «الفسر» و«السفر» يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ... وجعل السفر لإبراز الأعيان الأبصار فقيل: سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح.[4]

ثانياً التفسير في الاصطلاح:

التفسير علم يفهم به كتاب الله تعالى المنزل على نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه. [5]

قال الزركشي [6] :» علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة أسباب النزول والناسخ والمنسوخ «.[7]

قال الزرقاني» [8]: « هو علم يبحث فيه عن أحوال القرآن العزيز من حيث دلالته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية «[9]

---

(١) سورة الفرقان: الآية ٣٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن: الزركشي ج٢ ص١٤٨.

(٣) المرجع نفسه ج٢ ص١٤٧.

(٤) المرجع السابق ج٢ ص١٤٨.

(٥) البرهان في علوم القرآن ج١ ص١٣، وانظر الإتقان: السيوطي ج٢ ص١٧٤.

(٦) الزركشي :محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين ، (ت: ٧٤٥هـ) : عالم بفقه الشافعية والأصول، ينظر في ترجمته : الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) ، دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، ٦٠/٦ .

(٧) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، ١/ ١٣ .

(٨) هو محمد عبد العظيم الزرقاني، من علماء الأزهر بمصر، توفي سنة (١٣٦٧هـ). ينظر: الأعلام، الزركلي، (٢١٠/٦).

(٩) مناهل العرفان في علوم القران، محمد عبدالعظيم الزرقاني (١٣٦٧هـ)، عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط٣، (٣/٢).

والتعريف الأقرب والأشمل هو تعريف الزرقاني؛ لأنه قد عرف التفسير كعلم مستقل، وشامل للتفسير ويتضمن جميع العلوم التي يستعان بها في التفسير، وقيدنا بقيد مهم في تعريفه الذي تفرد به عن غيره في تعريفه للتفسير وهو بقدر الطاقة البشرية وهذا القيد ضروري لبيان أن عدم الإحاطة بمعاني كلام الله تعالى لا يقدح في العلم بالتفسير(١)، وهذا ما ذهب إليه العديد من الأساتذة والعلماء(٢) وهو المعتمد عندهم وعندي.

عرَّفه أبو حيان بأنه: «علم يبحث عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك».(٣)

ثم خرَّج التعريف فقال: فقولنا: «علم»، هو جنس يشمل سائر العلوم، وقولنا: «يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن»، هذا هو علم القراءات، وقولنا: «ومدلولاتها» أي مدلولات تلك الألفاظ، وهذا هو علم اللغة الذي يُحتاج إليه في هذا العلم، وقولنا: «وأحكامها الإفرادية والتركيبية»، هذا يشمل علم التصريف وعلم الإعراب، وعلم البيان، وعلم البديع، وقولنا: «ومعانيها التي تُحمل عليها حالة التركيب»، يشمل ما دلالته عليه بالحقيقة، وما دلالته عليه بالمجاز، فإن التركيب قد يقتضي بظاهره شيئًا ويصد عن الحمل على الظاهر صاد فيحتاج لأجل ذلك أن يعمل على غير الظاهر، وهو المجاز، وقولنا: «وتتمات لذلك». هو معرفة النسخ وسبب النزول، وقصة توضيح بعض ما انبهم في القرآن ونحو ذلك.

فيتبين لنا أن المعنى الاصطلاحي للتفسير ما هو إلا منحدر عن المعنى اللغوي؛ لأنهم يلتقيان في معنى واحد وهو الكشف والبيان والإظهار والإيضاح.

---

(١) ينظر: قواعد التفسير جمعاً ودراسة، خالد بن عثمان السبت، رسالة دكتورا، الجامعة الإسلامية / كلية القرآن، دار أبن عفان، ط١، ١٤٢٦هـ_٢٠٠٥ م،(٣٠) .

(٢) ينظر: الموسوعة القرآنية المتخصصة، مجموعة من الأساتذة والعلماء المتخصصين، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م، (٢٤٢/١). وعناية المسلمين بابرز وجوه الأعجاز في القران الكريم، محمد السيد جبريل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريق بالمدينة المنورة، (٩/١). والمنار في علوم القران مع مدخل في أصول التفسير ومصادره، الدكتور محمد علي الحسن، كلية الدراسات الإسلامية بجامعة الأمارات العربية المتحدة، قدم له الدكتور محمد عجاج الخطيب (رئيس قسم الدراسات الإسلامية بجامعة الأمارات العربية المتحدة)، مؤسس الرسالة - بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، (٢٢٠/١).

(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ ، ٥/١ .

المطلب الثالث : بيان مفهوم ترتيب الآيات والسور .

أولا : الترتيب لغة: جعل كل شيء في مرتبته، واصطلاحا: هو جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد، ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى البعض، بالتقدم والتأخر. وهو أخص من التأليف.(١)

وهو جعل الشيء في مرتبته، الترتيب. الجذر: رتب. الوزن: التَّفْعِيل.الترتيب: رَتَّبَ النفقةَ: أي أعدها وأصلحها، ورتب الطلائع بموضع كذا: أي أثبتها..(٢)

ثانيا :اصطلاحا: جعل الشيء بحيث يطلق عليها اسم الواحد، ويكون لبعضها نسبة إلى البعض بالتقدم والتأخر(٣)ورتب الشيءَ: أي جعله على مراتبه، كترتيب الوضوء وغيره.(٤)

ثالثا: تعريف الآيات والسور:

١. الآية لغة:

اشتقاق (الآية) إما من (أيٍّ)؛ فإنَّها التي تبين أيًّا من أيٍّ (أيْ شيئًا من شيء)، وإما أن يكون اشتقاقها من (التأيِّي)، الذي هو التثبت والإقامة، أو من (أوى إليه) الذي يدل على التجمع، فمن جعلها من (أيي) فموضع العين عنده ياء، ومن جعلها من (أوى) فموضع العين عنده واو.(٥)

الآية اصطلاحا:

قال الجعبري (٦) حدُّ الآية قرآن مركب من جمل، ولو تقديرًا، ذو مبدأ ومقطع، مندرج في سورة.

السورة لغة: السورة واحدة سُوَر القرآن، وهي إما أن تكون من (السؤر)، وهو ما بقي في الإناء من الشراب، بإبدال الهمزة واوًا، وتكون سميت سورة لأنها قطعة من القرآن.

أو من (السُّور)، وهو حائط المدينة الذي يحيط بالبيوت، .(٧)سُورُ المدينةِ والْجبالُ الخشَّعُ لَما أتى خبرُ الزُّبَيرِ تواضَعَتْ وتكون سميت سورة لإحاطتها بآياتِها، واجتماعها كاجتماع البيوت بالسُّور.

---

(١) المصباح المنير، ابو العباس احمد الفيومي،ص٨٣. مادة رتب

(٢) المصباح المنير، ابو العباس احمد الفيومي،ص٨٣.

(٣) التعريفات ،علي الجرجاني ،ص٥٥.

(٤) شمس العلوم ،نشوان بن سعيد الحميري،باب الراء والتاء، ج٤ص٤٠٥ومايليها.

(٥) المفردات في غريب القرآن،الراغب الاصفهاني،ص٣٣.

(٦) الشيخ الإمام العالم المقرئ إبراهيم بن عمر بن إبراهيم أبو إسحاق، له شرح على الشاطبية كامل في معناه، وغيره من المؤلفات النافعة، توفي سنة ٧٣٢هـ في رمضان ببلد الخليل . معرفة القراء الكبار،(٢/٧٤٣).

(٧) لسان العرب،ابن منظور (٣/٢١٤٧).

٢.اصطلاحا: قال الجعبري: السورة بعض قرآن يشتمل على آيٍ، ذو فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاث آيات.[١]

ترتيب آيات القرآن:[٢]

ترتيب الآيات من القرآن الكريم توقيفي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم. وقد حكى بعضهم الإجماع على ذلك: منهم الزركشي في (البرهان في علوم القرآن) وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته إذ يقول: (ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلّى الله عليه وسلم وبأمره من غير خلاف بين المسلمين فقد كان جبريل عليه السلام يتنزل بالآيات على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ويرشده إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت قبلها. فيأمر الرسول صلّى الله عليه وسلم كتّاب الوحي بكتابتها في موضعها ويقول لهم: (ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا). وعن عثمان بن أبي العاص قال: (كنت جالسا عند رسول الله صلّى الله عليه وسلم إذ شخص ببصره ثم صوبه ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية في هذا الموضع في هذه السورة) وهي: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبى ...) [٣]إلى آخرها. من هنا يتضح لنا أن ترتيب الآيات توقيفي عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم.

لقرآن سور وآيات منها القصار والطوال، والآية: هي الجملة من كلام الله المندرجة في سورة من القرآن، والسورة: هي الجملة من آيات القرآن ذات المطلع والمقطع. وترتيب الآيات في القرآن الكريم توقيفي عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وحكى بعضهم الإجماع على ذلك:

منهم: الزركشي في «البرهان»، وأبو جعفر بن الزبير [٤]في «مناسباته» إذ يقول: «ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه -صلى الله عليه وسلم- وأمره من غير خلاف بين المسلمين» وجزم السيوطي بذلك فقال: «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي لا شبهة في ذلك» فقد كان جبريل يتنزل بالآيات على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ويرشده إلى موضعها من السورة أو الآيات التي نزلت قبل، فيأمر الرسول كتبة الوحي بكتابتها في موضعها ويقول لهم: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا أو كذا، أو ضعوا آية كذا في موضع كذا، كما بلَّغها أصحابه كذلك، عن عثمان بن أبي العاص قال: «كنت جالسًا عند رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ شَخَصَ ببصره ثم صوَّبه، ثم قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع

(١) الاتقان في علوم القرآن ،جلال السيوطي ،(١/١٥٠).
(٢) مباحث في علوم القرآن ،صبحي الصالح ،ص ١٤٠.
(٣) سورة النحل :الاية
(٤) هو أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي، كان من النحاة الحفَّاظ، توفي سنة ٨٠٧ هجرية

من هذه السورة: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى} ... إلى آخرها».[١]

ووقف عثمان في جمع القرآن عند موضع كل آية من سورتها في القرآن، ولو كانت منسوخة الحكم. لا يغيرها. وهذا يدل على أن كتابتها بهذا الترتيب توقيفية، عن ابن الزبير قال: «قلت لعثمان: {وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا}[٢], قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها؟ [٣] قال: «يابن أخي، لا أُغَيِّر شيئًا من مكانه»[٤]

ترتيب السور[٥]:

اختلف العلماء في ترتيب السور:

أ- فقيل: إنه توقيفي، تولاه النبي -صلى الله عليه وسلم- كما أخبر به جبريل عن أمر ربه، فكان القرآن على عهد النبي -صلى الله عليه وسلم- مرتب السور، كما كان مرتب الآيات على هذا الترتيب الذي لدينا اليوم، وهو ترتيب مصحف عثمان الذي لم يتنازع أحد من الصحابة فيه مما يدل على عدم المخالفة والإجماع عليه.

ويؤيد هذا الرأي: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قرأ بعض السور مرتبة في صلاته، رَوَى ابن أبي شيبة: أنه عليه الصلاة والسلام كان يجمع المفصَّل في ركعة، ورَوَى البخاري عن ابن مسعود أنه قال في بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء: «إنهن من العتاق الأُوَل، وهن من تِلادى» فذكرها نسقًا كما استقر ترتيبها.

ورُوي من طريق ابن وهب عن سليمان بن بلال قال: «سمعت ربيعة يسأل: لم قُدِّمت البقرة وآل عمران وقد نزل قبلهما بضع وثمانون سورة مكية، وإنما أنزلتا بالمدينة؟ فقال: قُدِّمتا وأُلِّف القرآن على علم ممن أَلَّفه به، ثم قال: فهذا مما يُنْتَهى إليه ولا يُسأل عنه»[٦]

وقال ابن الحصار: «ترتيب السور ووضع الآيات مواضعها إنما كان بالوحي، كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقد حصل اليقين من النقل المتواتر بهذا الترتيب من تلاوة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ومما أجمع الصحابة على وضعه هكذا في المصحف»[٧].

---

(١) أخرجه أحمد بإسناد حسن. ج ٤ -٢٩٢٧

(٢) سورة البقرة :الاية ٢٤٠.

(٣) أخرجه البخاري.ج ٢ /٢٨٢٦، باب وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا

(٤) اخرجه مسلم ج ١/ ٢٤٣٣

(٥) مباحث في علوم القرآن ،١٤٢.

(٦) المحكم في نقط المصاحف،عثمان بن سعيد الداني أبو عمرو/الناشر : دار الفكر - دمشقالطبعة الثانية ، ١٤٠٧/ ٦٧

(٧) الاتقان في علوم القرآن ,جلال الدين السيوطي (٦٢/١).

ب- وقيل: إن ترتيب السور باجتهاد من الصحابة بدليل اختلاف مصاحفهم في الترتيب.

فمصحف «علي» كان مرتبًا على النزول، أوله: اقرأ، ثم المدثر، ثم ن والقلم، ثم المزمل وهكذا ... إلى آخر المكي والمدني.

وكان أول مصحف ابن مسعود: البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.

وأول مصحف أُبَي: الفاتحة، ثم البقرة، ثم النساء، ثم آل عمران.(١)

جـ- وقيل: إن بعض السور ترتيبه توقيفي وبعضها باجتهاد الصحابة: حيث ورد ما يدل على ترتيب بعض السور في عهد النبوة، فقد ورد ما يدل على ترتيب السبع الطوال والحواميم والمفصَّل في حياته عليه الصلاة والسلام.

ورُوِيَ أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «اقرءوا الزهراوين: البقرة وآل عمران» (٢)

(١) مباحث في علوم القرآن ١٤٣

(٢) اخرجخ مسلم ج ١/ ٤٣٣٣، باب فضل قراءة سورة القرآن وسورة البقرة

المبحث الثاني
نشأة القواعد التفسيرية

نبين هذا المبحث نشأة قواعد التفسير ودورها في التفسير من خلال المطالب الآتية .

المطلب الاول: نشأة القواعد التفسيرية :

إنْ بداية نشأة علم القواعد التفسيرية ظهر في العهد النبوي على يد أفضل الخلق محمد (صلى الله عليه وسلم) فالصحابة كانوا يرجعون اليه في تفسير ما غمض وأشكل عليهم فهمه وإدراكه ، وكان (صلى الله عليه وسلم) يبين لأصحابه معاني القرآن والفاظه ، ثم ظهر على يد أئمة التفسير من بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن بعد الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) اجمعين ، فالصحابة (رضي الله عنهم) هم الذين نزل القرآن بلغتهم ، ومعرفتهم بأسباب النزول وكذلك سليقتهم العربية ، هذا ما أغناهم عن وضع قواعد تفسير القرآن الكريم ، ثم التابعين الذين هم تلامذة الصحابة وتخرجوا على يدهم ، ثم عهد تابعي التابعين ، وهكذا مع كل جيل تتسع آفاق المعرفة [١].

وإن نشأة علم القواعد التفسيرية بدأ مع نشأة علم التفسير ، وازدادت القواعد التفسيرية بزيادة كتب التفسير ، وأن القواعد التفسيرية لم تكن مستقلة ؛ بل كانت منثورة في كتب التفسير وأصول الفقه واللغة ، واصبحت بعد ذلك فن مستقل ودونت في كتاب (القواعد الحسان لتفسير القرآن) للعلامة عبد الرحمن بن سعدي (رحمه الله) في القرن الرابع عشر الهجري وبذلك ظلت تتوالى التصنيفات في قواعد التفسير الى يومنا هذا .[٢]

المطلب الثاني : موضوع القواعد التفسيرية وما يتعلق بها .

نبين في هذا المطلب غايت قواعد التفسير وثمارها من خلال النقاط التالية :

١. .موضوعه : إن موضوع القواعد التفسيرية هو كلام الله تعالى ، وهو أشرف العلوم وأعظمها، وهو حبل المتين ونوره المبين ، والصراط المستقيم ، فأن شرف العلم بشرف موضوعه [٣].

(١) قواعد التفسير، خالد السبت ، ١/٤١-٤٣ .

(٢) قواعد التفسير، خالد السبت ، ١/٤١-٤٣ .

(٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت

٢. غايته : فهم معاني القرآن الكريم ، وبيان أحكامه وحكمه ، للوصول الى سعادة الدراين[١] .

٣. ميزته : تتميز القواعد بالإيجاز في الصياغة مع عموم المعنى وسعة الاستيعاب ، أضافة الى جزالة اللفظ وقوته[٢] .

٤. ثمرته : معرفة الكثير من معاني القرآن الكريم ، ليتمكن المفسر من الاستنباط والفهم الصحيح للمعاني ، وكذلك ضبط التفسير بقواعدة الصحيحة[٣] .

٥. أهميته : إن لقواعد التفسير أهمية كبيرة؛ لأنها تبحث في كلام الله من حيث دلالته على مراد الله عز وجل، وأيضاً لكثرة العلوم وجزيئاتها المفرقة فيها بحيث أصبح من الصعب الوقوف والإلمام بعلم من العلوم وفهمه وضبطه دون الرجوع إلى قواعد هذا العلم وأصوله التي تبنى عليه فروعه، فيمكن تلخيص أهمية القواعد على العموم وأهميتها على الخصوص وذلك فيما يأتي الأهمية على وجه العموم:

أ.إن معرفة القواعد عموماً أداة لضبط العلم، أيا كان ذلك العلم، وعن طريقها يزول التعارض، ويتحد المضمون.[٤].

ب. بمعرفة القواعد التفسيرية وغيرها من القواعد سواء الفقهية أو اللغوية، تحصل ملكة للاجتهاد، وكلما ازدادت معرفته بالقواعد زادت قوته في الاستنباط، فالقواعد هي أداة لاستنباط الأحكام[٥]

خ. قال الشوكاني: « إدراك القواعد التي يتوصل بها إلى أستباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية [٦]

١٢٧٠هـ) ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ ، ٦/١ .

(١) المصدر نفسه ٦/١.

(٢) قواعد التفسير ، خالد السبت ، ٤٠/١ .

(٣) فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله

(٤) ينظر: أنوار البروق في أنواء الفروق، شهاب الدين الصنهاجي القرافي(ت٦٨٤هـ)، خليل منصور، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٤١٨ هـ -١٩٩٨م، (٦/١). المنثور في القواعد، الزركشي، تيسير فائق محمود، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية -الكويت، ط٢، ١٤٠٥هـ، (١/ ٦٥-٦٦).

(٥) ينظر: القواعد والفوائد، أبو عبد الله محمد بن مكي العاملي (ت٧٨٦هـ)، السيد عبد الهادي الحكيم، منشورات مكتبة المفيد قم -إيران، (٣/١).

(٦) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، أحمد عزو عناية، دار الكتب العربي، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م، (١٨/١).

ج. قال الزركشي : « فإن ضبط الأمور المنتشرة المتعددة في القوانين المتحدة هو أوعى لحفظها وأدعى لضبطها وهي إحدى حكم العدد التي وضع لأجلها، والحكيم إذا أراد التعليم لا بد له أن يجمع بين بيانين: إجمالي تتشوف إليه النفس، وتفصيلي تسكن إليه» [١].

ب. وقال السعدي : « معلوم أن الاصول والقواعد للعلوم بمنزلة الاساس للبنيان ، والاصول للأشجار ، لأثبات لها الا بها ، والأصول تبنى عليها الفروع والفروع تتثبت بالأصول، وبالقواعد والاصول يثبت العلم ويقوى ، وبها تعرف مآخذ الاصول، وبها يحصل الفرقان بين المسائل التي تتشابه كثيراً، كما أنها تجمع النظائر والاشباه التي من جمال العلم جمعها .[٢] «

٦.مؤلفات قواعد التفسير : هي كثيرة جدا نختار بعض منها لا على سبيل الحصر :

أ. المنهج القويم في قواعد تتعلق بالقرآن الكريم ، تم ذكره في كتاب كشف الظنون .[٣]

ب. التيسير في قواعد علم التفسير لمحمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الكافيجي الحنفي [٤].

٣. القواعد الحسان لتفسير القرآن للسعدي توفي سنة (١٣٧٦هـ) [٥]، ذكر فيه إحدى وسبعين قاعدة فقد توسع في القواعد منها قواعد في التفسير .

٤. قواعد التفسير: محمد بن إبراهيم بن علي بن علي المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي الوزير اليماني (ت٨٤٠هـ)، مخطوط، وبين لنا خالد السبت إنه وقف عليه، فوجد أن أبن الوزير قد تكلم عن طرق التفسير ومراتبه وأنواعه، ولم يذكر شيئاً عن علم قواعد التفسير.[٦]

ظهوره كعلم مستقل خاص به:

ظهر علم القواعد التفسيرية كعلم خاص في وقت متأخر، حيث ظهر في القرن الرابع عشر على يد عبد الرحمن السعدي [٧]في كتابه « القواعد الحسان لتفسير القرآن»، وظهر بعده كتاب

(١) المنثور في القواعد الفقهية ،الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) ،تحقيق : د تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف الكويتية ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م، ٦٦/١ .

(٢) طريق الوصول الى العلم المأمول بمعرفة القواعد والضوابط والأصول ، عبد الرحمن السعدي ، دار البصيرة ، ٢٠٠٠م ، ط١، ص ٦.٥ .

(٣) كشف الظنون : مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور بأسم حاجي خليفة او الحاج خليفة ، (ت:١٠٦٧هـ) ، دار احياء التراث العربي ١٨٨٣/٢ .

(٤) الاعلام للزركلي ، ١٥٠/٦ .

(٥) المصدر نفسه : ٣٤٠/٣ .

(٦) قواعد التفسير، خالد السبت، (٤٤/١).

(٧) هو عبد الرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي التميمي، مفسر، من علماء الحنابلة، توفي في القصيم سنة ١٣٧٦هـ، ينظر: الأعلام، الزركلي، (٣٤٠/٣).

« قواعد التفسير « لخالد بن عثمان السبت.

٧. بيان شرفها:

إن شرف علم قواعد التفسير نابع من موضوعه؛ وهو القرآن الكريم، كما نابع أيضاً من غايته ومقصده؛ في فهم القرآن الكريم بالمعنى الدقيق والمخصص؛ ولهذا يعتبر هذا العلم من العلوم الدقيقة التي لا مجال للخطأ فيه. كما أنه نابع من أقوال الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأقوال الصحابة؛ وأقوال التابعين؛ وكل هؤلاء يعدون من أشرف الخلائق عند الله .[١]

(١) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم (ت١٤٠١هـ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، (٤/١٧١-١٧٣). أصول التفسير وقواعده، خالد العك، (٢٧-٢٩).

المبحث الثالث
أنواع قواعد التفسير ومصادرها

سنقف على هذا المبحث ونبين أنواع قواعد التفسير ومن اين يستمد وما هي مصادره من خلال النقاط التالية :

أولا : الأنواع [1].

هناك نوعان للقواعد التفسيرية ، منها ما تكون القاعدة فيه تشمل أبواب متعددة ، ومنها ما يكون متفق أو مختلف القاعدة .

النوع الاول : أما قواعد تدخل في أبواب قليلة أو كثيرة ، أو تدخل بالأبواب كلها أو قاعدة تدخل بباب واحد ، وهذا الباب يمكن ان يضم جزيئات كثيرة أو قليلة .

النوع الثاني : القواعد التي حصل الاتفاق عليها ، أو القواعد التي وقع فيها خلاف بسيط ، فيعبر عن هذه القواعد بصيغة الجزم أو بجمل خبرية .

أما اذا كان الخلاف الواقع في القواعد كبير ، فيعبر عنها بصيغة الاستفهام ، مثل (هل الامر يقتضي التكرار ؟) و (هل الزيادة على النص نسخ ؟).

ثانيا : استمدادها:

إن قواعد التفسير مستمدة من: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وما أثر عن الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم)، ومن أصول الفقه، واللغة والبيان والنحو والتصريف، وكذلك من كتب علوم القرآن وبعض مقدمات التفاسير. [2]

(١) قواعد التفسير : خالد السبت ، ٤٧/١ - ٤٨.

(٢) ينظر: البرهان في علوم القرآن، أبو عبدالله بدر الدين محمد بن عبدالله بن بهادر الزركشي (ت٧٩٤هـ)، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ط١، ١٣٧٦هـ -١٩٥٧م، (١٣/١).التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، الدار التونسية - تونس، ١٩٨٤هـ، (١٨/١-٢٧). قواعد التفسير، خالد السبت، (٤٠-٤١).

المبحث الرابع
ترتيب الآيات والسور وفق القواعد التفسيرية

ترتيب نزول سور القرآن الكريم:

إنَّ سور القرآن الكريم لم تُرتَّب على حسب وقت نزولها، بل كان ترتيبها كما أشرنا سابقاً بأمرٍ من رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم-، كما أنَّ تاريخ نزول كلِّ سورةٍ غير معروفٍ غالباً؛ لأنَّ الصَّحابة لم ينقلوا وقت نزول كلِّ سورةٍ، فقد كان جلُّ اهتمامهم عند نزول الآية أو السُّورة حفظها وفهمها وتدوينها، ولم يلتفتوا لتاريخ نزول كلِّ سورةٍ، إلَّا أنَّ بعض الآيات كان نزولها متعلِّقاً ببعض الأحداث، كالآيات التي كانت تنزل بعد غزوةٍ ما، فتلك السُّور يمكن للعلماء التنبُّؤ تاريخها، وبناءً على ذلك تمَّ تقسيم السُّور إلى سورٍ مكيَّةٍ وسورٍ مدنيَّةٍ حسب وقت نزولها قبل الهجرة أو بعدها.[١]وإنَّه من المعلوم أنَّ القرآن لم ينزله الله -تعالى- دفعةً واحدةً على رسول الله -عليه الصّلاة والسّلام-، بل كان جبريل -عليه السّلام- ينزل عليه الآيات على فترات، إمَّا للإجابة عن سؤالٍ معيَّنٍ، أو للتَّعليق على حدثٍ أو غزوةٍ، أو لتفصيل حكمٍ ما، أو للتَّشجيع في وقت الفتور، ومن ذلك استنتج العلماء السَّابقون الظُّروف التَّاريخيَّة التي تحيط بكلِّ سورةٍ، وعرفوا الوقت الهجريَّ لنزولها، وأنشأوا التَّقويم الهجريّ بدقَّةٍ متناهيةٍ،[٢] أمَّا فيما يتعلَّق بأوَّل وآخر ما نزل من القرآن الكريم، فتفصيله فيما يأتي:

أوَّل ما نزل من القرآن الكريم:

أوَّل ما نزل من القرآن الكريم أول آيات سورة العلق ودليل ذلك، قول عائشة أمِّ المؤمنين -رضي الله عنها-: أنَّ أوَّل ما نزل من القرآن الآيات من سورة العَلَق: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الْإِنْسانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ)،[٣]

وذلك في حديثها الذي يُفَصِّل نزول الوحي على رسول الله -عليه السّلام-، عندما أمره جبريل -عليه السّلام- بالقراءة، وأخبره رسول الله -عليه السّلام- أنَّه لا يستطيع القراءة، فنزلت تلك الآيات،

(١) محاضرات في علوم القرآن ، غانم قدوري الحمد ،ص٧٧.

(٢) مجوعة من المؤلفين (١٩٩٨)، موجز دائرة المعارف الإسلامية (الطبعة الاولى)، الشارقة: مركز الشارقة للإبداع الفكري، صفحة ٨٢٠٦، جزء٩.

(٣) سورة العلق،الاية:٩.

فكانت أوَّل ما نزل من القرآن الكريم[١]. هناك من اعتبر أن أوائل آيات سورة المدثر وهي قوله تعالى: (يا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنْذِرْ* وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ)،سورة المدثر،الاية:٣. هي أول ما نزل في رسالة النبي لاحتوائها على أمر النبي بإنذار قومه، فتكون سورة العلق هي أوَّل ما نزل بالنُّبوَّة، بينما سورة المدَّثِّر أوَّل ما نزل من الرِّسالة، وتكون كِلا السُّورتين أوَّل ما نزل من النُّبوَّة ومن الرِّسالة، وذلك أخذا بقول الصَّحابي جابر بن عبد الله -رضي الله عنه-: أنَّ أوَّل ما نزل هي سورة المُدَّثِّر.[٢]

آخر ما نزل من القرآن الكريم:

تعدَّدت آراء العلماء أيضاً في آخر ما نزل من آيات القرآن الكريم، نوضِّح هذه الآراء كما يأتي:[٣]

- خواتيم آية الرِّبا في سورة البقرة، قول الله -تعالى-: (وَاتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ ما كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)[٤] وهو رأي الصَّحابيِّ الجليل ابن عباس -رضي الله عنه- في روايةٍ له.

- سورة النَّصر، وهو رأي آخر لابن عبَّاس -رضي الله عنه-، فقد فسَّر نزول سورة النَّصر عندما اجتمع مع كبار الصَّحابة، أنَّ في هذه السُّورة إشارةٌ لاكتمال أمور الدِّين واقتراب أجل النَّبي -عليه السَّلام-، ووافق عمر بن الخطَّاب -رضي الله عنه- ابن عبَّاس في هذا.

كيف تم ترتيب نزول سور القرآن :

إن ترتيب سور القرآن الكريم كلُّها أمرٌ توقيفيٌّ من الله -تعالى- لا اجتهاد فيه، نزل به جبريل -عليه السّلام-، وأخبر رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- أصحابه بهذا التَّرتيب، وللعلماء على هذا الرأي عدَّة أدلَّة نوردها فيما يأتي: قول الله - تعالى- : (أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً)،[٥] ويُفهم من هذه الآية أنَّ الله -تعالى- لم يترك ترتيب السُّور لاجتهاد البشر؛ لأنَّهم بطبيعة الحال تختلف آراؤهم ووجهات نظرهم.[٦]

---

(١) المقدمات الاساسية في علوم القرآن ،عبدالله الجديع ،ص٧٠-٧٢.

(٢) المصدر نفسه،ص٧٣-٧٥.

(٣) مجموعة من المؤلفين (٢٠٠٢)، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، صفحة ٢٢٤-٢٢٧، جزء ١.

(٤) سورة البقرة، الاية:٢٨١.

(٥) سورة النساء،الاية:٨٢

(٦) -مجموعة من المؤلفين (٢٠٠٢)، الموسوعة القرآنية المتخصصة، مصر، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، صفحة ٢٢٤-٢٢٧، جزء ١.

قول الصَّحابيِّ زيد بن ثابت -رضي الله عنه-: (كُنَّا عِندَ رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ نؤلِّفُ القرآنَ منَ الرقاعِ)[١] وهو أحد كُتَّاب الوحي، وقد فسَّر العلماء مقصوده من كلمة التأليف أنَّهم كانوا يجتمعون عند رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- يرتِّبون الآيات التي كانت تنزل متفرِّقةً وجمعها في سُوَرِها وترتيبها بأمرٍ منه -صلى الله عليه وسلم- وليس لهم رأيٌ في ذلك.[٢]

إجماع الصَّحابة والعلماء جميعهم من زمن النَّبيِّ -عليه الصّلاة والسّلام- إلى زمننا هذا، ولم يُخالف أحدٌ هذا التّرتيب(٤) ولذلك رجَّح العلماء هذا الرَّأي، بأنَّ ترتيب سور المصحف كان توقيفيَّاً، أنزله الله -تعالى- على جبريل -عليه السّلام-، فأنزله إلى محمَّد -صلّى الله عليه وسلّم-، وأمَّا السُّور التي لم يرد فيها دليلٌ على ترتيبها فقد يكون قد نزل فيها دليلٌ لكنَّه لم يصل للعلماء، ولم يجتهد أحدٌ في ذلك.[٣]

أما مصاحف الصَّحابة واختلاف ترتيب السور فيها فهو راجع إلى أنها مصاحف خاصَّة بهم وليست لعامَّة النَّاس، كتبوها لأنفسهم، وقد كانوا يدوِّنون فيها مسائل أخرى غير آيات القرآن الكريم، كالتَّفسييرات وبعض الأبيات الشِّعرية، كما أنَّ دوَّنوا هذه السُّور القرن أيام الصحابة لم يكن مدوّنا بين دفتين كما هو في أيامنا بل كانوا يدونون بعض السور دون مراعاة للترنيب وغيره، ولذلك اعتمد عثمان بن عفان -رضي الله عنه- عندما جمع المُصحف الشَّريف ترتيب مصحف أبي بكر -رضي الله عنه-، ثمَّ أحرق النُّسخ الباقية كي لا تفترق الأمة، ويختلف النَّاس في ذلك.

(١) رواه الألباني، في صحيح الترمذي، عن زيد بن ثابت، الصفحة أو الرقم: ٣٩٥٤، صحيح.
(٢) مناسبات الايات والسور ،احمد فرحات ،(٩/٥١).
(٣) دراسات في علوم القرآن ,فهد الرومي ،ص١١٢.

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع قواعد التفسير المتعلقة بطريقة التفسير عند العلماء فقد وصلنا إلى المحطة الأخيرة لبيان أهم النتائج التي توصلت بها عبر هذه الدراسة الماتعة من نوعها لمعرفة ما عليه علماء الأمة المتقدمين في تعاملهم مع القرآن الكريم من فكر ثاقب ومعرفة واسعة في كل العلوم ولاسيما علم التفسير فقد توصلت للنتائج الآتية:

١. أن القواعد التفسيرية حكم كلي يتوصل من خلاله إلى استنباط ألفاظ ومعاني القرآن على الوجه الصحيح.

٢. أن المفسرين في تطبيقهم للقواعد التفسيرية في تفسيرهم للقرآن الكريم، لم يفسحوا المجال لأهل الشكوك والشبهات للطعن في القرآن.

٣. القواعد التفسير أهمية كبيرة في حسم الاختلافات التفسيرية بين المفسرين.

٤. أن القواعد التفسيرية تستمد من كتب علوم القرآن والأصول وغيرها من المؤلفات في فنون شتى.

٥.ان التفسير واصوله وقواعده لابد ان تحظى بعناية بالغة في حياة طلبة العلم لما لها من الارتباط بكلام الله (عزوجل) من حيث أنها تعين على فهم المراد منه .

٦.أن قواعد التفسير تستمد من الكتب التي اعتنت بالاصول واللغة وذلك لأرتباط بعضها ببعض .

٧. ان التعريف الراجح للقواعد هي قضية كلية منطبقة على جميع جزيئاتها.

٨.تعريف القواعد التفسيرية هي الأحكام الكلية التي يتوصل بها الى إلى أستنباط .

٩. لا يوجد حديث يُعتد به يفيد اجتهاد البشر في ترتيب سور القرآن الكريم.

١٠.كان لكتبة الوحي، وللجامعين للقرآن الكريم زمن البعثة، أثر كبير في ترتيب سور القرآن على نحو ما تعلموا من الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

١١. النصوص من الكتاب والسنة متعاضدة على عصمة كتاب الله من أي تدخل بشري في نصه أو ترتيبه.

المصادر والمراجع

· قرآن الكريم

١) اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد في المملكة العربية السعودية: ط١/ ١٤٠٧هـ- ١٩٨٦م.

٢) أحمد بن محمد بن أحمد المظفر ابن المختار، أبو العباس بدر الدين الرازيّ الحنفي (: بعد ٦٣٠هـ)دراسة وتحقيق: حاتم بن عابد بن عبد الله القرشي: كنوز إشبيليا - المملكة العربية السعودية: ط١، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م.

٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة: المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود: دار الكتب العلمية: ط١: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.

٤) إعراب القرآن وبيانه: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت : ١٤٠٣هـ): دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية ، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت):ط١ ، ١٤١٥ هـ.

٥) الأعلام: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ): دار العلم للملايين: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م

٦) سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت : ٧٤٨هـ)المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط مؤسسة الرسالة:ط٣ ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٧) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لعبد الحي بن أحمد العكري الدمشقي (ت:١٠٨٩هـ) دار الكتب العلمية.

٨) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي(ت: ٣٩٣هـ) تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: دار العلم للملايين - بيروت:ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧.

٩) صحيح ابن خزيمة:أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت: ٣١١هـ)المحقق: د. محمد مصطفى الأعظمي: المكتب الإسلامي – بيروت.

١٠) الطبقات الكبرى: لأبن سعد البصري، البغدادي (ت: ٢٣٠هـ)تحقيق: محمد عبد

القادر عطا: دار الكتب العلمية - بيروت: ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠م.

١١) محاسن التأويل: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)المحقق: محمد باسل عيون السود: دار الكتب العلميه - بيروت: ط١ - ١٤١٨ هـ.

١٢) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)المحقق: روحية النحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق - سوريا: ط١، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٤م.

١٣) المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل وديا جير الإنكار والتأويل: عبد الفتاح إبراهيم سلامة: الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة: السنة الثانية عشرة، العدد السابع والأربعون والثامن والأربعون، رجب - ذو الحجة ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

١٤) المعجزة الكبرى القرآن: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ): دار الفكر العربي.

١٥) معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر»: عادل نويهض/قدم له:

١٦) من بلاغة القرآن: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ): نهضه مصر - القاهرة: ٢٠٠٥.

١٧) منهج المدرسة العقلية الحديثة في التفسير لفهد بن عبد الرحمن الرومي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١.

١٨) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت ٧١١هـ) ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.

١٩) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ) ، دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو ٢٠٠٢ م.

٢٠) الأشباه والنظائر، تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١ هـ) ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود - علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

٢١) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (ت : ٩٠٢هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة. بيروت.

٢٢) كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ) ،

تحقيق : ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٢٣) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق: محمد عوض مرعب ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

٢٤) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ) ، تحقيق: عبد السلام محمد ها مفهوم التفسير والتأويل والاستنباط والتدبر والمفسر، د مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤٢٧ .

٢٥) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) ، تحقيق : صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت، الطبعة: ١٤٢٠ هـ.

٢٦) البرهان في علوم القرآن، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت ٧٩٤هـ) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه.

٢٧) قواعد التفسير ، خالد بن عثمان السبت ، دار ابن عفان.

٢٨) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، تحقيق : علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٢٩) المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

٣٠) المنثور في القواعد الفقهية ،الزركشي بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الشافعي (٧٤٥ - ٧٩٤ هـ) ،تحقيق : د تيسير فائق أحمد محمود، وزارة الأوقاف الكويتية ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م

٣١) مسند الامام احمد ، ـ أحمد بن محمد بن حنبل (ت: ٢٤١هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ـ عادل مرشد ، إشراف : دعبد الله بن عبد المحسن التركي ، مؤسسة الرسالة ، الطبعة الاولى ، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠١م.

٣٢) دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٣٣) البخاري، أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، بأمر السلطان عبد الحميد الثاني.